

الفلسفة والبيواتيقا في ظل التحديات المعاصرة

*Philosophy and Bioethics in the Face of Contemporary Challenges*د.عمارة غنية¹¹ مخبر الفلسفة و العلوم الإنسانية، جامعة عبد الحميد ابن باديس (الجزائر)، ghania.amara@univ-mosta.dz

تاريخ النشر: 2026/04/12

تاريخ القبول: 2026/03/11

تاريخ الاستلام: 2025/10/26

الملخص: مثل القرن الواحد والعشرين تطورا علمياً وتكنولوجياً لم يسبق له في تاريخ البشرية، بالخصوص المجال البيولوجي حيث انتقل اهتمام العلماء من السيطرة على الطبيعة ليمتدح الاهتمام بعلوم الاحياء أي اختراق العلم للبنية العضوية للإنسان ليصبح جسده محل تجارب قصد التغيير في الطبيعة البشرية وسنن الخلق كالاستنساخ والهندسة الوراثية وما غير ذلك للتحكم في انسان المستقبل، احدث التطور البيو تكنولوجيا قلقا وتخوفا على مصير الانسان مما ادى الى ظهور البيواتيقا كفرع فلسفي لمسئلة العلم بهدف أخلقة الممارسة الطبية للنظر الى الانسان كشخص أي كذات وموضوع بدل النظر اليه كجسم مادي بيولوجي، لذلك فإن دراستي هادفة إلى تسليط الضوء على دور البيواتيقا في مواجهة التحديات المعاصرة المتمثلة في محاولة تسييج الممارسة الطبية على الكائن الحي ومدى قدرتها على الموازنة بين الطب والأخلاق، وعليه فمن النتائج المتوصل إليها هي أن البيواتيقا كعلم معياري وردة فعل عن العلم وبالأخص تقنيات الطب الحيوي ليس بإمكانها أن تحقق التوافق بين الطب والأخلاق لأن البيواتيقا تركز على ما يجب أن يكون، وعليه لا تستطيع تغيير ما هو كائن في الحاضر وما سيكون في المستقبل ، لأن العلم ليس له حدود ولا ينتهي إلا بانقراض البشرية، ومدام الواقع متغير والزمان يتغير، فإن العلم بدوره سيساير هذه السيرة وبالتالي تبقى البيواتيقا كدروس للتوعية.

الكلمات المفتاحية: العلم، البيولوجيا، الطب، الأخلاق، البيواتيقا.

Abstract: The twenty-first century witnessed unprecedented scientific and technological developments in human history, particularly in the biological field. Scientists' attention shifted from controlling nature to focusing on the biological sciences, and scientific penetration of the human organism. This has made the human body a subject of experiments aimed at changing human nature and the laws of creation, such as cloning, genetic engineering, and other methods, to control the human of the future. The development of biotechnology has created anxiety and fear for the fate of man, which has led to the emergence of bioethics as a philosophical branch for

questioning science with the aim of ethicizing medical practice to view man as a person. as a subject and an object, instead of viewing him as a biological material body, Therefore, my study aims to shed light on the role of bioethics in facing contemporary challenges represented by the attempt to fence medical practice off from the living organism and the extent of its ability to reconcile medicine and ethics. Accordingly, one of the results reached is that Bioethics as a normative science and a reaction to science, and especially biomedical techniques, cannot achieve harmony between medicine and ethics because bioethics focuses on what should be, and therefore cannot change what is in the present and what will be in the future. Because science has no limits and will not end until humanity becomes extinct, and as long as reality and time change, science will in turn keep pace with this process, and thus bioethics remains a lesson for awareness

Keywords : Bioethics, Biology, Ethics, Medicine, Science

*المؤلف المرسل :

1. مقدمة:

شهد العالم في القرن الواحد والعشرين تطوراً علمياً وتكنولوجياً هائلاً، أحدث قفزة نوعية افضت إلى تغيرات جذرية بالخصوص المجال البيوطي، أحدث العلم في مراحله الأخيرة انعطاف فكري من التفكير في طرق السيطرة على الطبيعة إلى التفكير في السيطرة على الإنسان، أي الانتقال من النانو تكنولوجيا إلى البيوتكنولوجيا، ليخترق هذا الأخير البنية العضوية للإنسان (زراعة الأعضاء، الهندسة الوراثية، الاستنساخ البشري). فوجدت الفلسفة نفسها أمام صدمة المستقبل، لتحمل على عاتقها مسؤولية البحث، فيما يجب وما لا يجب للعلم بعيدة كل البعد عن التفكير الميتافيزيقي المتعالي عن الواقع ليتمركز التفكير الفلسفي على قضايا واشكاليات راهنة فرضتها التطورات العلمية والتكنولوجية التي فرضت هيمنتها وسيطرتها على جميع المجالات بما في ذلك المجال البيوطي، الذي كان له صدى كبير في تجديد الخطاب الفلسفي المعاصر، تزامناً مع ظهور إحدى فروعها أي البيواتيقا التي حاولت اضعاف الطابع الخلقي على الصعيد التكنولوجي لفتح المجال للعلم وتطبيقاته في الاتجاه الصحيح، وبناء على ما تقدم نطرح التساؤلات الآتية:

ما هي البيواتيقا؟ وما علاقة البيواتيقا بالفلسفة؟ وكيف ساهمت البيواتيقا في تجديد الخطاب الفلسفي في ظل التطور البيولوجي؟ وما مدى قدرتهما أي الفلسفة والبيواتيقا في خلق التوازن بين الثورة البيولوجية والقيم الإنسانية؟

ومن بين الفرضيات المسلم بها انه من الممكن للفلسفة والبيواتيقا معالجة القضايا الراهنة الناتجة عن التحديات المعاصرة وامكانية نشرهما لوعي عالمي للحد من خطورة تسارع خطى العلم اللامتناهي، لذلك سنحاول من خلال هذه الدراسة الربط بين البيواتيقا وتقنيات الطب الحيوي الحديث، بهدف تحقيق التقارب بين الممارسة الطبية والقيم الانسانية، لذلك ارتأيت ان المنهج المناسب لمعالجة هذه الاشكالية هو المنهج النقدي بغرض تقييم الطب الحديث والوقوف على مطباته.

2. الممارسة الطبية والبيولوجية "ظاهرة الاستنساخ:

1 السياق التاريخي لتطور البيولوجيا:

. شهد العالم تطورا علمياً وتكنولوجياً ملحوظاً، ومما هو متعارف عليه ان هذه التطورات لم تأتي دفعة واحدة وانما نتيجة محاولات واخطاء ودراسة وتحليل، فالعلم ليس حكراً على حضارة معينة ولا مرحلة معينة، وانما العلم نتاج لتراكم معرفي، منذ ظهوره للوهلة الاولى، فاذا كانت الحضارات القديمة وما توصلت اليه في مجال الفلك والرياضيات والطب عن طريق الصدفة "فكل ما توصل اليه من كشوف واختراعات تكنولوجياية في العصور القديمة قد تحقق بمعزل عن العلم"(1). وعليه فلا يمكن الحديث عن العلم بمعزل عن تاريخه.

ان الانجازات العلمية المطبقة على ارض الواقع والتي احدثت تغييراً جذرياً ليس على مستوى الحياة اليومية فقط، وما قدمته من تسهيلات في الجانب العملي للبشرية قد تحول من جانبها الايجابي لتحديث قلقاً وخوفاً للإنسان المعاصر وذلك من خلال ملامستها لعالم الاحياء، اي طبيعة الانسان البيولوجية وما طرأ عليها من تغيير في الصفات الخلقية للإنسان كالهندسة الوراثية، الاستنساخ وغيرها من تطبيقات الثورة التكنولوجية في المجال البيوطبي البيولوجي الهادفة الى انساب للانسان طبيعة غير طبيعته.

كانت بدايات الطب التقليدي طباً يعتمد على التجارب المتوارثة، وهذه التجارب والملاحظات لم تكن بطريقة علمية وانما طرق عشوائية بعيدة كل البعد عن تقنيات الطب الحديث، اعتمد الطب التقليدي او ما أطلق عليه بالطب الشعبي على التداوي بالأعشاب والمعتقدات الدينية والشعوذة، وبدأ الطب في تطور ملحوظ مرحلة تلو الأخرى في مناهجه ووسائله العلمية بداية القرن التاسع عشر، الفترة التي اصبحت فيها البيولوجيا اساس للطب.

والبيولوجيا في تعريفها العام هي: "العلم الذي يدرس الحياة"، (2) كما تعرف ايضا على انها: "العلم الذي يختص بالكائنات الحية من حيث اشكالها وانشطتها وعلاقتها ببعضها البعض مع بيئتها". (3)

عرف القرن السابع عشر بعلم الاحياء النبات والحيوان، فكانت بداية ربط التجارب العلمية للطبيعة في الظواهر المادية والفيزيائية للكون بدراسة الكائنات الحية، "كانت الارهاصات الاولى لقيام البيولوجيا على بعض الاسس العلمية (...). في القرنين السابع عشر والثامن عشر على يد مجموعة من العلماء من امثال

جورج بيفون (...) ولينة وآخرين" (4)، كما قدم علماء القرن التاسع عشر فهم البنية التشكيلية للكائنات الحية ونموها والتغيرات الطارئة عليها، كما تعود البيولوجيا أيضا الى ظهور التلسكوب الذي استخدم بطريقة خاصة في دراسة الكون، غير ان العلماء الذين اهتموا بالدراسات الميكروسكوبية لم يتركوا استعمالاته على مجال محدود، أي على مستوى قياس ومراقبة الاجرام السماوية فقط، وانما ساعدت الدراسة الميكروسكوبية على يد "عالم التشريح الايطالي ملبيجي على الكشف عن الدورة الدموية فقد بحث في عالم الاحياء الصغيرة والحشرات والنباتات واستطاعوا لأول مرة ان يصلوا إلى معرفة شكل الحيوان المنوي والتعرف على الخلايا البشرية الدموية". (5)

كما لا يفوتنا اول حدث في نشأة وتطور البيولوجيا العالم تشارلز داروين من خلال مؤلفه المشهور "اصل الأنواع" حيث قدم لنا نظرية علمية يشرح من خلالها عملية التطور والارتقاء للكائن الحي، حيث اعطت هذه النظرية "اول مبدأ موحد لفهم الحياة"، فأشار داروين الى تسلسل جميع الأنواع التي تحيا في الارض حاليا من كائنات منقرضة تختلف عنها، وعزا هذا الاختلاف الى تراكم تغيرات بسيطة حدثت ببطء متناه" (6)، ولقد كان شعار النظرية الداروينية الصراع من اجل البقاء، مما ادى الى انعكاس شعاره سلبا على الانسان المعاصر، "فان الحقائق العلمية التي عرفتھا هذه النظرية تجرد الانسان من كل امتيازاته السابقة فقد حولته الى مجرد حلقة في سلسلة التطور الحيواني، بعد ان كان اقل بقليل من الملائكة". (7) فأنه عز وجل قد ميز الانسان عن سائر مخلوقاته وكرمه وقّده وجوده، الا أن النظرية الداروينية كانت منافية للنصوص الدينية ومبادئ خلق الكون، حيث احطت من قيمة الانسان وجعلته في مرتبة الحيوان، فالإنسان في نظر داروين لا يختلف عن الكائنات الاخرى بل هو خاضع لمبدأ التطور والتغير، اما في القرن العشرين فلقد عرفت البيولوجيا قفزة نوعية، فالبيولوجيا لم تبلغ ذروتها القصوى الا في غصون القرن العشرين، الذي مثل المرحلة الحقيقية لتطور علم البيولوجيا، "فاذا كان منتصف القرن الماضي و بدايات هذا القرن يسمى بعصر الفيزياء، فان الشواهد العلمية التي ظهرت في السنوات العشرين الاخيرة تدل على اننا سندخل عصرًا جديدًا تنبأ بعض الباحثين بأنه سيكون عصر البيولوجيا" (8)، فلم يكن بوسعنا في الاعوام الماضية أن نتصور ما وصلت اليه البيولوجيا وما ستصل اليه لاحقا، مما يعنى ان البيولوجيا لها جذورها القديمة التي تعود الى عصر الاغريق مع أبقرات وسقراط، الا ان ما توصلت اليه مؤخرًا لم يسبق له في التاريخ.

1- 2.2 الاستنساخ البشري:

الاستنساخ لغة واصطلاحا:

الاستنساخ لغة: النسخ ويطلق على الازالة والنقل والالغاء والتغيير وابطال الشيء واقامة آخر مقامه، يقال: نسخت الكتاب اذا نقلته وانتسخته، وكتاب منسوخ ومنسخ أي منقول. (9)

كما يعرف ايضا بـ "النسل": الانفصال عن الشيء، يقال: نسل القميص عن الانسان الولد لكونه ناسلاً عن ابيه". (10)

وكلمة استنساخ مرادفها في اللغة الإنجليزية "cloning" وهي مشتقة اصلاً من اللغة الاغريقية "klon" والمصطلح "clon" في التطبيق البيولوجي يعطي معنى نسيلة، وهي الخلية المفردة الواحدة التي ينتج عن تكاثرها الانسجة. (11)

اصطلاحاً: كان المقصود بالاستنساخ cloning مجرد طريقة قديمة وشديدة البساطة لتكاثر النباتات. (12) ومع بداية القرن العشرين ومع التطورات العلمية السريعة أصبح الاستنساخ لا يخص البستنة، وانما التحكم في الكائنات الحية الحيوان والانسان، فتم استبدال الاستنساخ، "بمصطلح زرع اغصان النبات الى مصطلح زرع الاعضاء البشرية" (13).

كما يعرف ايضا على انه توليد غير جنسي، تتم بأخذ خلية من خلايا جسم الانسان، تحتوي على كافة المعلومات الوراثية الخاصة بالإنسان، وهذه الخلية تزرع في بويضة الانثى بعد تفريغها من كامل مورثاتها، ليأتي الجنين مطابقاً للأصل، وبعد ذلك توزع البويضة في رحم الانثى وتشكل الجنين على نحو مطابق للكائن الاصلي الذي اخذت منه الخلية". (14) وما يمكن استخلاصه من هذه التعاريف هو ان الاستنساخ هو انتاج نسخة مطابقة لكائن ولقد كانت اولى تجارب الاستنساخ ميلاد النعجة دولي ثم تم تعميم هذه الظاهرة على الجنس البشري مما ادى الى قلق وتخوف انسان المستقبل على مصيره.

طبقت تقنيات العلم الحديث على البشر بهدف زرع الأمل وتقديم حلول للمشكلات التي تعانيها البشرية لتحكم في عملية الانجاب عن طريق ما يسمى بالإخصاب الاصطناعي، أي التكاثر اللانجسي الذي يختلف بطبيعته عن الاخصاب الطبيعي الذي يتم عن طريق التقاء الحيوان المنوي بالبويضة وتكون عملية الانجاب عن طريق تلقيح البويضة، اما التطور البيوطبي وما اضفاه على علوم الحياة، أصبح هو المتحكم في عملية الانجاب، او ما يسمى "بالإنجاب الصناعي" الذي اتاح للإنسان امكانية رؤية نفسه وهو يولد من جديد ومن هنا يمكن لنا تحديد نوعين من الاستنساخ: الاستنساخ التناسلي والاستنساخ الغير التناسلي، فأما عن الاستنساخ التناسلي او ما يسمى بالتناسل الاصطناعي "هو عبارة عن اعطاء ميلاد لشخص بتقنية نقل النواة، الامر يتعلق بتوليد كائنات متطابقة وراثيا فيما بينها وذلك بنقل نواة من خلية جسمية ووضعها في بويضة مفرغة، أي انتزاعنا نواتها" (15)، أما النوع الثاني أي الاستنساخ الغير التناسلي فهو عكس الاستنساخ التناسلي يكون على مستوى الخلايا فقط لا ينتهي إلى نشوء كائن حي، ان التغيرات التي أحدثتها الثورة العلمية البيو تكنولوجيا "تكنولوجيا النسل" التي كانت حلم مستحيل تحولت الى علما تطبيقيا غير في التكوين الطبيعي للإنسان، والإخلال بمبدأ الانجاب الطبيعي، وهذا التحول مؤشرا لتطورات علمية اخرى أكثر خطورة مستقبلاً. "سيصبح في المستقبل بعد فترة معينة الاستغناء عن رحم الانثى بالمرّة، سوف يصبح من الممكن ان ينشأ الطفل نطفة فعلاقة فمضغة فجنيناً مخلقاً، طفلاً كاملاً،

خارج الجسم البشري". (16) هذا ما افضى الى الحاجة الملحة لحضور الدرس الفلسفي في غصون التطورات العلمية.

3. البيواتيقا والفلسفة والطب الحديث:

1.3 البيواتيقا لغة واصطلاحاً:

لغة: يشير مصطلح بيواتيقا Bioéthique إلى تأليف بين كلمتين هما " بيو " Bio وتعني الحياة و " اتيقا " ethique وتعني عموماً الاخلاق، ومن ثم يأخذ هذا التأليف صيغة التوحيد او الاندماج. (17) اصطلاحاً: للبيواتيقا العديد من التعاريف من ضمنها:

البيوتيقا هي الدراسة المتعددة الاختصاصات لمجموع الشروط التي ستوجيها تسيير مسؤول للحياة الانسانية في إطار التطورات السريعة والمعقدة للمعرفة والتقنيات البيوطبية. (18) عرفت جاكين روس في كتابها "الفكر الاخلاقي المعاصر" البيواتيقا علم معياري يهتم بالسلوك الانساني الذي يمكن قبوله في إطار القضايا المتعلقة بالحياة والموت، وهي دراسة تجمع بين تخصصات عدة تهتم بمجموع الشروط التي يتطلّبها للتسيير المسؤول للحياة الانسانية في إطار تقدم سريع ومعقد لمعارف وتقنيات الطب والبيولوجيا. (19)

- علاقة الفلسفة بالبيواتيقا:

عرف العالم ثورات علمية وتطورات معرفية افضت الى ظهور ازيمات ومشاكل مهددة لكيان انسان المستقبل ومصيره، مما أنتج عنه فتح الفلسفة لمجال جديد للبحث تدعو من خلاله الى أخلة الطب وتطبيقاته، فلم تبقى الفلسفة في الحقبة المعاصرة تبنى على الفكر الميتافيزيقي المتعالي عن الواقع، وإنما اصبحت تعالج القضايا والمشكلات الراهنة. أي ما هو كائن لوضع حد للأزمات التي آلت اليها البشرية جراء ازدهار وتطور التكنولوجيا الحيوية بهدف تقييد البيولوجيا بالقيم الإنسانية، الفلسفة لا ترفض العلم وتطوره، وإنما محاولتها هادفة الى أخلة العلم، والتوفيق بين تقنيات الطب الحيوي والقيم الإنسانية المتجسدة في كرامة الانسان وهويته، وهذا ما نلاحظه فيما يسمى بالبيواتيقا التي اضفت الجانب الاخلاقي على المجال، البيوطبي.

ظهر مصطلح البيواتيقا في القرن العشرين كردة فعل عن تجاوزات الممارسة الطبية البيوتكنولوجية الحديثة، ولقد صاغ هذا المصطلح لأول مرة اللاهوتي فريترز يار الذي دعى الى تطبيق المسؤولية الأخلاقية على الكائن الحي ، ليعيد بوتر احياء المصطلح من جديد وذلك من خلال ربطه بين القيم الإنسانية والعلوم البيولوجية تخوفاً من سيطرة العلم على البشرية ، ليأتي بعد ذلك هانس يونس الذي لم يقتصر الجدال الأخلاقي البيواتيقي على الكائنات الحية وإنما اصبح يشمل الطبيعة ايضاً بربطه بين البيواتيقا

واخلاقيات البيئة، ولقد ركزت أخلاقيات الحياة على جملة من المبادئ الظابطة للممارسة الطبية الحديثة بتركيزها على حفظ كرامة الانسان أي احترام قرارات الفرد المصيرية قبل التدخل الطبي وتجنب الحاق الضرر بحياته بغرض حماية جسده باعتباره كياناً مقدساً والدعوى الى ضرورة النظر الى شخصيته أي الانسان في بعدها الثاني اي الروح تقول جاكين روس في هذا الصدد: "ان علم الحياة والطب يشتركان في ان موضوعها هو الجسد والحياة وعلى هذا فان المبدأ الأول للأخلاق الحياتية في هذا المنظور سيكون مبدأ احترام الجسد وهويته ميتافيزائية، يعبر في كل لحظة عن طراز وجود هذا الجسد المعاش هو ما لا تستطيع أي تقنية تمويهه" (20) بالإضافة الى مبدأ المسؤولية باعتباره التزام أخلاقي يحمل صاحب المهنة المسؤولية لقد كان هذا المبدأ أحد الركائز التي تقوم عليها فلسفة اخلاقيات الحياة عند هانس يونس الذي وسع من نطاق الجدل الأخلاقي للبيواتيقا بالربط بينها وبين اخلاقيات البيئة . وعليه فالبيواتيقا باعتبارها علم معياري تهتم بدراسة ماهو كائن وما سيكون عليه السلوك الإنساني أي مهنة الطب فانها تهدف اذن الى اخلقة الممارسة العملية الطبية لتسخير العلم في خدمة الانسان.

فاذا ذا كانت الفلسفة قد بحثت عبر مسارها الفكري في ثلاثة مباحث الابستمولوجيا - الانطولوجيا والاكسيولوجيا، فإن الاكسيولوجيا هو المجال الذي تنتهي إليه البيواتيقا وتشتغل عليه، وما يمكن استخلاصه ان محور اهتمام الفلسفة والبيو اتيقا هو الانسان انسان المستقبل ومصيره، فلقد "أكد علماء البيواتيقا على الطابع الواقعي والعملي لهذا الفكر الجديد، وصلته الواضحة بالفلسفة البرغماتية كما ان ارتباط الفلسفة بالطب والبيولوجيا يمكن رده بشكل عام الى الاهتمام المشترك بموضوع الحياة والكائن الحي عموماً" (21)، هذا ما دفع بهابر ماس من خلال مؤلفه "مستقبل الطبيعة الانسانية نحو نسالة ليبرالية " الى طرح تساؤل حول المهمة الجديدة للفلسفة قائلاً: هل يحق للفلسفة ان تدافع عن التحفظ نفسه تجاه المسائل المطروحة في اخلاقيات النوع الانساني او الجنس البشري؟ (22) مجيباً مبدياً رأيه تجاه هذه المسألة قائلاً: " ان الفلسفة العملية [أي البيواتيقا] في ايامنا لا ترفض كل اعتبار معياري (...) إذ تهتم بشكل خاص بإيضاح وجهة النظر الاخلاقية التي لا تنقطع من خلالها عن تقييم الاعراف والاعمال". (23) كما حدد كينغلهايم مهمة الفلسفة في مسيرة ديمومة تطور العلم من جهة وتقييمه ونقده من جهة أخرى قائلاً "تكمّن مهمة الفلسفة في مواكبة حركية الفكر العلمي والحرص على الاطلاع المباشر على جميع اكتشافاته، ومشاريعه وانجازاته، والثانية تأتي مباشرة أي بعد جمع الوقائع والمعطيات وترتيبها، حيث تبدأ المهمة الحقيقية للفلسفة" (24)

وما يمكن التنويه اليه في حديثنا عن البيواتيقا باعتبارها مبحث فلسفي جديد ظهر في نهاية القرن العشرين كتحدٍ لتقنيات الطب الحيوي الحديث، الا ان لها جذورها الفلسفية السابقة " ان للفكر البيواتيقي جذور فلسفية ترجع الى عصر الانوار ولدى البعض انها ترجع الى العصر اليوناني (...) كذلك ساهمت في بناء الفكر البيواتيقي فلسفة التنوير وحقوق الانسان وفلسفة كل من كانت وسارتر ". (25) ويكمن الاختلاف بين القديم والحديث أنها تجدد استلثها كل مرة في ثوب جديد حسب ما يقتضيه العصر

وتحولاته، "فاذا كان الدافع الاول لظهور البيواتيقا هو التطبيقات البيولوجية الطبية، فان الدافع الثاني يتعلق بالاهتمامات والتساؤلات الجديدة التي يطرحها التطور الطبي". (26)

ظهرت البيواتيقا لمعالجة المعايير الاخلاقية للعلوم الحيوية والطبية، فإذا كان العلم يهتم بما هو كائن فإن طبيعة البحث الفلسفي والبيواتيقي، يتمركزان حول الأطر المعيارية، أي ما يجب أن يكون عليه العلم، أي التمرکز حول الأطر المعيارية للتطبيقات البيولوجية بهدف تحقيق التقارب بين تقنيات الطب الحيوي الحديث والجانب الأخلاقي، وفي سياق هذا الحديث أكد بوتر على الغاية والهدف من البيواتيقا قائلاً "البيواتيقا كما اتصورها تبذل مافي وسعها لانبثاق حكمة، علماً او معرفة المتعلقة بكيفية استعمال العلم لاجل خير المجتمع على أساس من معرفة واقعية للطبيعة البيولوجية للإنسان وللعالم البيولوجي(27)ومن هذا المنطلق يمكن القول ان البيواتيقا اسهمت بإعادة. الحياة للطرح الفلسفي من جديد بعد ما حاولت حقول المعرفة الاخرى في خفت صوتها والاعلان عن موتها خصوصاً صراعها مع العلم بعد استقلاله عنها باعتبارها أي البيواتيقا فكر اخلاقي تطبيقي والعلم المعياري للسلوك البشري هادفة الى اخلة الحقل المعرفي البيوطبي. وإذا كانت القوى المسيطرة على العالم (الليبرالية) ذهبت للإقرار بحقوق الانسان المبنية على الحق التقني لضمان استقلالية الانسان وحرية المطلقة اتجاه قرارات نفسه. فان هذه المبادرة من السلطات العليا تضليل للوعي البشري، لذلك كان تركيز البيواتيقا بالدرجة الاولى على نشر الوعي من المخاطر البيو تكنولوجية لأن الحق الذي يكفله القانون والدين للإنسان هو حق العيش بكرامة. فإذا كان الانسان مهمشاً في العصور القرو وسطية، فإن العصر الحديث قد اعاد الاعتبار للإنسان وأصبح مقياس الأشياء جميعاً مسيطراً لتتقلب الموازين مرة اخرى ليصبح الانسان خاضعاً لسيطرة التكنولوجيا نظراً للتطورات التي شهدتها القرن الواحد والعشرين، لتعيد البيواتيقا للإنسان مكانته ومركزيته باعتبارها فكراً أخلاقياً. وذلك ان يحرم تحريماً صارماً وإصدار تشريعات تعاقب من يدعي ملكية الحياة وملكيتها مادتها"(28) ولهذا فان المؤسسات القانونية البيواتيقيّة تجد نفسها في مواجهة وضعيات تجبرها على صياغة قوانين وإعادة النظر في البعض لتكييفها مع التطور السريع للبحث في المجالين البيوطبي والبيوتكنولوجي"29

لذلك ستكون "البيواتيقا عودة ضرورية للسؤال الفلسفي في قلب العلم" (25)، لأنها محاولة جادة لتخليق الثورة البيو تكنولوجية وتحقيق التقارب بين العلم والقيم الانسانية في ظل ما أحدثه العلم من نقلة نوعية من النانو تكنولوجيا إلى البيو وتكنولوجيا، اي الانتقال من التحكم بالمادة الى التحكم في الكائن الحي، وعليه فإن البيواتيقا قد اعدت اللقاء بين العلم والفلسفة بعد انفصال العلم عنها، لتلتقي معه مرة اخرى عبر احد فروعها التطبيقية بصرامة وقوة "فالفلسفة هنا لا تتخذ شكلاً نظرياً بحثاً، وانما ستتجه اتجاه آخر يسئل عن افاق التطبيقات البيو تكنولوجيا لتتطرق عبر حوار نقدي للقضايا الاخلاقية الناجمة عن الممارسة العملية على الحياة بوجه عام". (30)

موقف الفلاسفة من اخلاقيات الطب الحديث:

حمل الفيلسوف على عاتقه مهمة شاقة نظرا لتسارع خطى العلم فوجد الفيلسوف نفسه يتخبط في جو هائل من التطورات العلمية والتكنولوجية المتلاحقة، حيث اخترق العلم البنية العضوية للكائن الحي لمحاولة فهمه محدثا انعطافا اى العلم من العالم الطبيعي إلى الدخول لعالم الخلق الصناعي، مما حال إلى خلق مشكلات مهددة للحياة البشرية ومن ضمن الاشكاليات التي واجهت الفيلسوف المعاصر اشكالية الطب الحيوي والنظر الى جسد الانسان كآلة في ظل التطور البيو تكنولوجي، في هذا الصدد يقول هيربرت ماركيز "بدلا من ان تكون قوة التكنولوجيا قوة تحريرية عن طريق تحويل الاشياء الى ادوات امست عقبة في وجه التحرر عن طريق تحويل البشر الى أدوات". (31) وفي نفس سياق الحديث يقول: "الواقع التكنولوجي الراهن واقع استعباد الانسان وتشويهه وتحوله الى اداة لا واقع تحرر". (32)

من هذا المتطلق اتخذ الفيلسوف مهمة ومسؤولية الدفاع عن كرامة الانسان وهويته التي انتهكت في ظل التطور الطبي التقني الحديث. فبعد ان اعيد للإنسان الاعتبار واصبحت المعرفة قوة اي سيطرة الانسان على الطبيعة وتسخيرها له منذ فرانسيس بيكون. ليصبح الانسان عنصر من العناصر المادية واحد ركائز علم الاحياء مع تطورات العلم والثورات العلمية، مما ادى الى قلق وتخوف الفيلسوف المعاصر وهذا ما تجسد بوضوح في قول فوكو ياما "ليس ثمة نهاية منظورة للعلم لكن التاريخ تاريخ الانسان الذي نعرفه قد ينتهي مع تقدم العلم الذي لن ينتهي! ثمة احتمال حقيقي في ان يتسبب هذا الفيض الغزير المتلاحق في المعارف الوراثية والبيولوجية في ان ينتهي جنس البشر ليظهر منا جنس بشري جديد ينقلب علينا فتفى". (33)

كما ركز ايضا هابرماس بخصوص مسألة التقنية المعاصرة وتطبيقاتها البيولوجية على الجانب الاخلاقي التي ضحت به القوى الليبرالية في مقابل الخضوع لنزواتها الفردية وحكمت على انسان المستقبل بالعبودية، مما دفع بهرماس إلى تقديم نقدا اخلاقيا للتقنية الحديثة. انتقد هابرماس "العقل التكنولوجي" أي "العقل الاداتي" الذي حمل في طياته مفاهيم الهيمنة والسيطرة على مختلف مجالات الحياة بما في ذلك المجال البيوطي الذي اخترق خصوصية الكائن الحي، وعند القول بالعقل. الاداتي أي العقل البعيد كل البعد عن الحوار والتواصل، العقل الذي يصفه ماركيز " بالتفكير ذي البعد الواحد" والتواصل المقصود به عند هابرماس خلق حوار مع الحداثة وما انتجته من تقنية وما آلت اليه من مشكلات مست بالقيم الانسانية، لذلك حاول هابرماس انتقاد العقل التقني الذي حركته توجهات برغماتية هدفها فرض الهيمنة والسيطرة واخضاع الآخر لها، بهدف خدمة مصالحها الخاصة وبالتالي "يستحيل على حسب فوكو ياما[تقنيا ان يكون الانسان سيد نفسه وان يختار اسلوب حياته ". (34)

لذلك حمل هابرماس على عاتقه مسؤولية التأسيس لعقلانية تواصلية اخلاقية كمقابل للعقلانية الاداتية وما يمكن التنويه اليه ان الفيلسوف المعاصر ليس ضد التطور التكنو علمي بل يهدف الى خلق توازن بين

التقنية وممارساتها على علم الاحياء تماشيا مع القيم الانسانية بما يحفظ للإنسان قيمته وكرامته وهويته.

4. خاتمة:

العلم فريضة والاسلام لم يكن ضد العلم والعلماء، فأول ما نزل على سيدنا محمد عليه أفضل صلاة وسلام "اقرأ" ولكن للعلم حدود، فكما أكد الاسلام على قيمة العلم. اعطى للإنسان قيمته ودعا للحفاظ على كرامته والحد من التعدي عليه، غير ان محاولات العلماء في القرن الواحد والعشرين وما شهدته هذه الفترة من ثورات علمية وكشوفات واختراعات في المجال البيوطي ادى الى تجاوز السنن الطبيعية، كانتشار كائنات معدلة، وراثياً والتلاعب بالجينات البشرية وخلق امراض خطيرة فعلى الرغم من الانجازات التي حققها الطب مؤخراً بتحسين الصحة، وتطوير الادوية، والادوات التقنية في العلاج، وبعث الأمل كالتحكم في الانجاب وزراعة الأعضاء، الا انه اصبح اكبر مهدد لكيان الانسان وكرامته وهويته، مما ادى الى ظهور البيواتيقا كعلم معياري لتقييم تقنيات الطب البيولوجي وما نجم عنه من مشاكل وقضايا اخلاقية لاتخاذ القرارات اتجاه الطب الحيوي الحديث الذي شكل انحرافاً أخلاقياً، وتسييج الأبحاث البيولوجية بإعادة الوعي الأخلاقي للبحث العلمي مما ادى الى فتح أفاق جديدة للخطاب الفلسفي لتجديد مفاهيمه واشكالاته،

غير ان النتائج المتوصل اليها من خلال الدراسة والبحث هي ان ما طرحته البيواتيقا والفلسفة في مجال التطور البيولوجي يبقى على المستوى النظري، حلم منشود لا يمكن تحقيقه على ارض الواقع، لأن العلم في تطور مستمر ولا نهاية له، وعليه فإن ما تدعوا إليه البيواتيقا والفلسفة بتحقيق التقارب بين الطب البيولوجي والقيم الاخلاقية تبقى مجرد محاولات لا طائلة من ورائها لأن السلطات العليا نجحت في تزييف الوعي البشري وبالتالي اصبح الانسان سيد لقرارته تحت شعار الحق التقني، لذلك كان من بين اقتراحاتي حول هذه المسألة لتسييج تقنيات الطب الحيوي بثوابت معيارية تأسيس هيئة قانونية عالمية مسئولة عن الحد من تجاوزات الممارسة الطبية بتخاذها لقرارات صارمة وسن العقوبات الرذعية تحت شعار "حقوق الانسان"

5. قائمة المراجع:

- (1) - د. زكرياء فؤاد: التفكير العلمي، سلسلة كتب ثقافية شهرية، مارس 1978، ص 134.
- (2) Molman, C. & Gain, J (2015) Concepts of biology, 1st Canadian Ed, p.1.
- (3) - Bigelow, A.N. Biglow, M. A. introduction To Biology. New York the Macmillan Campa my.P3.
- (4) البقضي ناهدة: الهندسة الوراثية والاخلاق، سلسلة كتب ثقافية، جوان 1993، ص 62.
- (5) - المرجع نفسه ص 62.
- (6) - الحفار سعيد محمد: البيولوجيا ومصير الانسان، سلسلة كتب ثقافية، نوفمبر 1984، ص 27.
- (7) - البقضي ناهدة: الهندسة الوراثية والاخلاق، مرجع سابق ذكره، ص 66.
- (8) - المرجع نفسه، ص 71.
- (9) - احمد حسن عائشة: الاستنساخ والمشكلات الاخلاقية، المجلة الجامعة، كلية الآداب، قسم العلوم الاسلامية، المجلد الاول، العدد الخامس عشر، 2013، ص 2.
- (10) - المرجع نفسه، ص 3.
- (11) - المرجع نفسه، ص 5.
- (12) - اتلان هنري وآخرون: الاستنساخ البشري، ترجمة محم قبيل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط 1، 2016، ص 11.
- (13) - المرجع نفسه، ص 12.
- (14) - الشيخ حسن غريسي جعفر: الاستنساخ جدل العصر، دار الهادي، بيروت، ط 1، 2002، ص 12.
- (15) - اتلان هنري وآخرون: الاستنساخ البشري، ترجمة محم قبيل، مرجع سابق ذكره، ص 18.
- (16) - الحفار سعيد محمد: البيولوجيا ومصير الانسان، مرجع سابق ذكره، ح 114.
- (17) - الجديدي محمد: البيواتيقا ورهانات الفلسفة القادمة بحث محكم، قسم الفلسفة، 10 ماي 2016، ص 10.
- (18) - المحمداوي على عبود: البيواتيقا والمهمة الفلسفية اخلاق البايولوجيا ورهانات التقنية، دار الأمان، الرباط، ط 1، 2014، ص 2.
- (19) - بوفنتاس عمر: " البيواتيقا " الاخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيو تكنولوجيا، الجزء الأول، د.دن، بيروت، ط 1، 2006، ص 6.
- (20) - جاكين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، عويدات للنشر، بيروت، ط 1، 2001، ص 120.
- (21) - د. الشياح رحيم محمد: مدخل الى فلسفة الاخلاق التطبيقية. دار ومكتبة المرجح للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 2020، ص 91.
- (22) - هابرماس يورغن: مستقبل الطبيعة الانسانية نحو نسالة ليبرالية، د.د. والنشر، بيروت، ط 1، 2006، ص 6.
- (23) المرجع نفسه، ص 9
- (24) د.زينب بومهدي، أفتيحة جلاب: قيمة الفلسفة في ظل الثورة البيوتكنولوجية: الدونة، المجلد 8، العدد 4، ديسمبر 2021، ص 10.
- (25) الشياح رحيم محمد: من مدخل إلى فلسفة الاخلاق التطبيقية، مرجع سابق ذكره، ص 92.
- (26) المرجع نفسه، ص 89.
- (27) محمد جديدي: البيواتيقا ورهانات الفلسفة القادمة، بحث محكم، ماي 2016، ص 9.
- (28) هاني خليل رزق: الجينوم البشري واخلاقياته، دار الفكر، دمشق _ سوريا، ط 1، 2007، ص 465.
- (29) مختار عريب: الفلسفة السياسية من المفهوم الكلاسيكي الى البيواتيقا، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر، ط 1، 2009، ص 194.
- (30) - مجموعة من الباحثين: الاخلاقيات التطبيقية جدل القيم والسياسات الراهنة للعلم، دار الامان، الرباط، ط 1، 2015، ص 33.
- (31) - ماركيز هيرت: الانسان ذو البعد الواحد، ترجمة جورج طرايشي، دار الآداب، بيروت، ط 3، 1988، ص 18.
- (32) - المرجع نفسه، من 19.
- (33) - فوكو ياما فرانسيس: نهاية الانسان عواقب الثورة البيو تكنولوجيا، ترجمة احمد مستجير، د. دن، دب، ط 1، 2001، ص 9.
- (34) - ماركيز هيرت: الانسان ذو البعد الواحد ترجمة جورج طرايشي، مرجع سابق ذكره، ص 190.